الإســلام والعلم

مقارنة بين مفهوم العلم الحديث

ومفهوم العلم فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وآله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فقد قام الإسلام منذ بزغ فجره على احترام العقل والدعوة إلى النظر والتأمل فى الأنفس وفى الآفاق . وفى ملكوت السموات والأرض ، ﴿ قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوٰاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (١٠١ يونس) ، ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ ﴾ (الأنعام ١١) . ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوٰاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ وإلى جوار ذلك الإشادة بالعلم

والعلماء : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

يقول : أستاذنا الشهيد حسن البنا فى رسالة دعوتنا فى طور جديد ...

« الإسلام الحنيف ألزم العقل البشرى لوناً من ألوان التفكير . هو أكملها وأتمها وأشملها وأكثرها انطباقاً على واقع الحياة ، ومنطق الكون ، وأعظمها نفعاً لبنى الإنسان . ذلك هو الجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل ، فنحن نعيش فى عالمين فعلاً لا فى عالم واحد ، ونحن عاجزون عن تفسير كثير من ظواهر الكون فعلاً . عاجزون عن إدراك كل الحقائق الأولية التى تحيط بنا ، ونحن فى إدراكنا ننتقل من مجهول إلى مجهول . حتى ينتهى بنا العجز إلى الإقرار بعظمة الله ، ونحن نشعر فى أعماق قلوبنا بعاطفة الإيمان مشبوبة ، لأن الإيمان من فطرة نفوسنا ، وهو لها ضرورة من ضرورات حياتها كالغذاء والهواء والماء للأجسام سواء بسواء ، ونحن بعد ذلك نؤمن أن هذا المجتمع الإنسانى

لن يصلحه إلا اعتقاد روحى يبعث فى النفوس مراقبة الله والاعتزاز بمعرفته ، ومن هنا كان لزاماً على الناس أن يعودوا إلى الإيمان بالله وبالنبوات وبالروح وبالحياة الآخرة وبالجزاء فيها على الأعمال ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهْ ﴾ كل هذا فى الوقت الذى يجب عليهم فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف . وتسخر هذه المادة الصماء وتنتفع بما فى الوجود من خيرات ومبرات ﴿ وَقُلْ رَبِّى زِدْنِى عِلْمًا ﴾ وإلى هذا اللون من التفكير الذى يجمع بين العقليتين الغيبية والعلمية ندعو الناس لقد عاش الغرب أخريات أيامه مادى النزعة لا يشعر بغير المادة ولا يعترف بغير المادة ولا يحس بوجود غيرها حتى ماتت فى نفوس أبنائه عواطف الرحمة والإنسانية ﴾ .

والإسلام يرفض التسليم بما ذهب إليه الفلاسفة من القول بتقسيم البشرية إلى أطوار ثلاثة البدائى ، والدينى ، والعلمى ، الذى انتهت إليه وهوغاية

المطاف ، كما يرفض العداء التقليدى بين الدين والعلم . وهو عداء نشأ فى غير بلاد الإسلام بين الكنيسة والعلماء . لقد حجرت الكنيسة على الأفكار وعارضت العلم . وتبنت نظريات علمية قديمة أضفت عليها القداسة والعصمة ، وحاربت هناك كل من انتهى بحثه إلى مخالفتها ورمته بالزندقة والإلحاد .. ثم حاول المقلدون فى الشرق الإسلامى أن يلصقوها بالإسلام » .

يقول الأستاذ الشهيد سيد قطب رداً على هؤلاء :

« من أين جاء هؤلاء الناس بهذه النظريات الغريبة على طبيعة الإسلام ؟ وعلى تاريخ الإسلام .. لقد استوردوها ـــ هى الأخرى ـــ كما يستوردون كل شىء . من خلف السهول ومن وراء البحار ..

ذلك أن قصة العزلة بين الدين والدنيا لم تنبت فى العالم الإسلامى ولم يعرفها الإسلام ... وقصة تخدير الدين للمشاعر لم تكن يوماً وليدة هذا الدين . ولم

تعرفها طبيعته .. ولكنهم يتلقفونها تلقفاً كالببغاء ويحاكونها محاكاة كالقردة ، ولا يحاولون أن يفتشوا عن أصلها ونشأتها ، ولا أن يعرفوا مصدرها وموردها » .

إن موقف الإسلام من العلم والتخطيط والتنظيم واضح .. فقد أشار القرآن إلى :

١ ــ التخطيــط :

استخدام التخطيط فى السياسة الاقتصادية للدولة ، كما هو واضح من قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، وكيف أنقذ أمة من الجوع والهلاك فى وقت الجدب والشدة بما ادخره لها ، وليس التخطيط والتدبير منافياً لعقيدة الإيمان كما يتوهم البعض « اعقلها وتوكل » .

٢ ــ الإحصـــاء :

فقد استخدم الرسول ﷺ الإحصاء . فقد روى

البخارى أنه ﷺ بعد الهجرة أمر بعض أصحابه أن يحصوا له عدد المسلمين بالمدينة الذين يلفظون بالإسلام فكان عددهم خمسمائة وألفاً .

٣ ــ الانتفاع بالخبرات :

تشجيع أخذ النافع من الغير فى الأمور التى لا تتعلق بالعقيدة أو التشريع أو القيم والآداب ، فقد أخذ ﷺ برأى سلمان الفارسى رضى الله عنه فى حفر الخندق حول المدينة مع أنه من أساليب الفرس ودائماً « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها » .

لقد حمل المسلمون لواء الحضارة قروناً عديدة .. فأفكار الحسن بن الهيثم فى علم ــ البصريات ــ عاشت فى أوربا إلى زمن قريب منا ، وأبحاث ــ الطوسى ــ فى الرياضيات . بقيت زمناً طويلاً يتناولها علماء أوربا ، وكتاب ابن سينا ــ القانون ..

بقى المرجع الأساسى لكليات الطب فى أوربا حتى القرن السابع عشر .

يقول الدكتور النشار :

« إن المسلمين قد وضعوا المنهج العلمى بجميع عناصره ، وكانت الأندلس هى المعبر الذى انتقل منهجهم خلاله من العالم الإسلامى إلى أوربا » .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى :

« لا مجال فى الإسلام لدعوى التعارض أو العداوة بين الدين والعلم ، فالدين فى الإسلام علم ، والعلم فيه دين ، كما تشهد بذلك أصول الإسلام وتاريخه جميعاً ، وهذه حقيقة شهدها وشهد بها كثير من الباحثين والمؤرخين الغربيين » .

يقول العلامة : هورتن

« فى الإسلام وحده نجد اتحاد الدين والعلم ، فهو الدين الوحيد الذى يوحد بينهما ، فنجد فيه الدين

ماثلاً متمكناً فى دائرة العلم ، ونرى وجهة الفلسفة ووجهة العلم متعانقتين فهما واحدة لا اثنتان » .

ويقول : إيتان دينيه ..

« إن العقيدة الإسلامية لا تقف عقبة فى سبيل الفكر ، فقد يكون المرء صحيح الإسلام وفى الوقت نفسه حر التفكير . ولا تقتضى حرية الفكر أن يكون المرء منكراً لله . لقد رفع محمد ﷺ قدر العلم إلى أعظم الدرجات ، وجعله من أول واجبات المسلم ، ويقول : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » .

والمركز الإسلامى للدراسات والبحوث حين يقدم هذه الرسالة مفهوم العلم فى الإسلام إنما يساهم فى تبديد وتوضيح ما يتوهمه البعض من أن هناك عزلة بين الدين والحياة أو بين الدين والعلم .. فكل هذه التصورات لا وجود لها فى الإسلام بل هى غريبة ومستوردة لها ظروفها التاريخية فى الغرب ، وطبيعة

الإسلام وظروفه وتاريخه لا دخل لها فى شىء من هذا وترفضها كلية .

والله نسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى ، وأن يهدينا سواء السبيل .

المركز الإسلامى للدراسات والبحوث

محمد عبد الله الخطيب

مفهوم العلم فى الإسلام
يختلف عن مفهوم العلم فى الغرب

فهذا العلم الأخير علم مادى فى موضوعه وفى منهجه وفى هدفه .

أما فى موضوعه فهو يقتصر على دراسة الظواهر المادية التى تدرك أو يمكن أن تدرك بالحس .

وأما فى منهجه فهو يستخدم فى دراسة هذه الظواهر المنهج المسمى بالمنهج التجريبى The Enpirical Method وهذا المنهج يقوم على وسيلتين أساسيتين وهما . الملاحظة والتجربة . وهما وسيلتان تعتمدان أساساً على الحس فى جمع المعلومات عن الظواهر المادية . صحيح أن العقل يتدخل ولا سيما بعد مرحلة جمع المعلومات ، ويقوم بتصنيف هذه المعلومات وتفسيرها . ولكن تدخله

لا يتعدى نطاق هذه المعلومات التى جمعت عن طريق الحس .

وأما فى هدفه فهو كذلك هدف مادى ، وهو استخدام كل ما تكتشفه العلوم عن طريق هذا المنهج فى تقدم الإنسان تقدماً مادياً فى جوهره . أى تقدماً فى مستوى الحياة المادية بمختلف جوانبها ، بغض النظر عما إذا كان هذا التقدم المادى مصحوباً أم غير مصحوب بتقدم عقائدى وأخلاقى وفكرى فى نفس الوقت ، أى تقدماً إنسانياً متكاملاً ، كما ينبغى أن يكون تقدم الإنسان .

وحتى هذا التقدم المادى لا تستفيد منه الإنسانية كلها على السواء ، فالواقع أن الشعوب الغربية هى التى تحظى منه بنصيب الأسد ، وذلك بحكم عنصريتها من ناحية ، وتحكمها فى توجيه العلم والتكنولوجيا من ناحية أخرى ، ولذلك نراها تنعم بمعظم مظاهر هذا التقدم من ثروة وقوة ، بينما تترك للشعوب الأخرى الفتات الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ، وهو ذلك « الفتات »

العلمى والتكنولوجى الذى يقتصر على مظاهر الترف والانحلال الخلقى والإقبال على منتجات الغرب الاستهلاكية دون المقدرة على إنتاج مثلها .

وقد أدى هذا المفهوم المادى للعلم الحديث إلى نتائج بعيدة المدى فى حياة الإنسانية المعاصرة وبعض هذه النتائج يمكن أن توصف بأنها نتائج طيبة ونافعة ، ولكن الكثير منها لا يمكن أن توصف إلا بأنها نتائج وخيمة وضارة .

فمن النتائج الطيبة التى لا يمكن إنكارها تلك الإنجازات الباهرة التى حققها العلم الحديث ، والتى أدت إلى تقدم مادى واضح فى ميادين كثيرة ، ولا سيما فى ميادين الصناعة والاقتصاد والطب والعلوم التطبيقية والتكنولوجيا بوجه عام .

ولكن إلى جانب هذه النتائج الطيبة نتائج أخرى خبيثة ، ترتبت ترتباً حتمياً على النظرة المادية العنصرية الضيقة للعلم الحديث ومن أهم هذه النتائج ما يلى :

١ ــ أن العلم الحديث يغفل حقيقة هامة وهى أن الإنسان ليس مادة فحسب ، وإنما هو مادة وروح ، وليس جسماً فقط ، وإنما هو جسم وعقل وضمير ، وقد ترتب على هذا أنه بينما يتقدم الإنسان تقدماً مادياً يتأخر فى الوقت نفسه فى القيم الروحية والأخلاقية . فمن أجل التسابق والسبق فى الرخاء المادى يضحى الإنسان فى كثير من الأحيان بالأخلاق الكريمة والمثل العليا ، وبالصدق والحق والشرف والعدالة ، ويضعف روحه من أجل متعة جسده ، ويقتل ضميره من أجل أن يشبع بطنه وفرجه .

٢ ــ لقد أدى التقدم الغربى فى العلوم والتكنولوجيا إلى الزعم القائل بتفوق الشعوب الغربية على غيرها من الشعوب ، وهذا الزعم قد أدى بدوره إلى استعمال الغرب لمنجزاته العلمية والتكنولوجية فى استعمار الشعوب الضعيفة واستغلال مواردها وثرواتها ، والسيطرة ليس على إمكانياتها الاقتصادية فحسب ، بل وعلى نظمها السياسية والاجتماعية والتربوية ، وتوجيهها

توجيهاً يرضى تعصبه العنصرى من ناحية ، ويخدم مصالحه ومطامعه الاقتصادية من ناحية أخرى .

٣ ــ وقد أدت هذه العنصرية فى العلم إلى احتكار كثير من المعلومات والمكتشفات الهامة فى العلوم والتكنولوجيا ، وقصر المعرفة بها والاستفادة منها على الشعوب الغربية ، ومنعها بكل وسيلة عن الشعوب الضعيفة ، وذلك بهدف إبقاء هذه الشعوب عاجزة عن منافسة الغرب ، ومن ثم دائمة الاعتماد عليه .

٤ ــ وقد أدت السيطرة الاستعمارية على الشعوب الإسلامية بوجه خاص ولا سيما على أجهزة الإعلام والتربية والثقافة إلى توجيه هذه الشعوب الإسلامية توجيهاً لا إسلامياً ولا أخلاقياً ، وهذا التوجيه المخطط يعصف بأخلاق الإسلام وقيمه كما يعصف بتعاليمه وشرائعه ، كما يهدم تراثه وثقافته ، وكل ما يكوِّن شخصية المجتمع المسلم .

٥ ــ أدى الاتجاه المادى فى العلم الحديث إلى شيوع

العلمانية والإلحاد وإلى إنكار وجود الله واليوم الآخر والجزاء والحساب والوحى والروح ، وكل ما يتصل بعالم الغيب من قريب أو بعيد . وأطلق العلمانيون والملاحدة كثيراً من أوصاف السخرية والاستهزاء على العقلية المؤمنة ، مثل وصفها بالعقلية « اللاعلمية » أو العقلية « الغيبية » أو « الرجعية » بينما وصفوا مذاهب الكفر والإلحاد مثل الشيوعية والوجودية بأنها مذاهب « علمية » و « تقدمية » .

٦ ــ أدت هذه المادية العنصرية فى العلم الحديث إلى اشتداد حدة الصراع بين شعوب العالم « ولا سيما بين الشعوب التى أحرزت أكبر تقدم فى العلم والتكنولوجيا » وإلى سباق التسلح بينها ، وإلى كثرة الحروب الحديثة وهولها ، وذلك لتنوع ما يستخدم فيها من أسلحة « علمية » للإبادة الجماعية ، وإهلاك الحرث والنسل ، إلى جانب وسائل أخرى ــ علمية كذلك ! ــ اخترعت لتعذيب الإنسان على يد أخيه الإنسان تعذيباً « علمياً » لم يسبق له مثيل فى الوحشية

والفظاعة

٧ ــ أدت الآلية التى يتصف بها العلم الحديث إلى ضعف الناحية الإنسانية بوجه عام ، وإلى استعباد الإنسان للآلة ، وإلى عجز فى الإبداع الروحى ، وإلى التضحية بحرية الإنسان وكرامته وحقوقه فى كثير من بلاد العالم الذى يصف نفسه بأنه متقدم ومتحضر ... فخوت روح الإنسان الحديث بوجه عام من معانى الخير ، وانطفأ فيها نور الحق ، وغاض معين الرحمة فى قلوب الناس .

مفهوم العلم فى الإسلام :

يتضح مفهوم العلم فى الإسلام بالرجوع إلى القرآن الكريم . ففى القرآن آيات تكاد لا تحصى كثيرة تشير إلى العلم وما يرتبط به من ظواهر . وبين هذه الآيات تشابك وثيق وترابط يؤلف منها وحدة متكاملة ، ومع ذلك يمكن ــ توضيحاً للموضوع ــ تقسيمها إلى ستة أنواع رئيسية كما يلى :

أولاً ــ آيات تدعو بوجه عام إلى تحرير العقل البشرى من كل حاجز يحول دون اكتشاف الحقيقة .

ومن أهم هذه الحواجز التى دعا القرآن إلى إزالتها ما يلى .

١ ــ التقليـــد :

لأية سلطة من السلطات ، حتى الآباء والأجداد ، أو سلطة التقاليد والعادات ، ولا سيما فيما يختص بالعقيدة ، وذلك لأن الإيمان ينبغى أن يكون عن فهم واقتناع ، لا عن تقليد أعمى لكائن من كان . وذلك لأن المقلد يلغى عقله وتفكيره ، بل ويلغى شهادة حواسه ، حين يرضخ لحكم غيره وبخاصة إذا كان هذا الحكم قائماً على الجهل لا على العلم . ولذلك يقول الله تعالى فى وصف الكافرين .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ